ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

سماتٌ فروسيّة – حضاريّة في سيرة الظّاهر بيبرس الشّعبيّة

Chivalric-Civilizational Traits in the Popular Biography of al-Zahir Baybars

إعداد الباحثة: **روضة محمّد رياض صبحة**

rawda.sabha.leb@gmail.com

طالبة دكتوراه / جامعة القدّيس يُوسُف

كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة / معهد الآداب الشّرقيّة

مركز لويس بوزيه لدراسة الحضارات القديمة والوسيطة

لبنان

تاريخ استلام البحث: 22/ 10 / 2025 **تاريخ قبول البحث: 6 / 12 / 2025**

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة القيم الإنسانيّة المتمثّلة في الشّجاعة وإغاثة الملهوف، بوصفهما فضيلتين مركزيتين في البناء الأخلاقيّ والاجتماعيّ، وذلك من خلال تحليل حضورهما في سيرة الظّاهر بيبرس الشّعبيّة. وقد تناول البحث مفهوم الشّجاعة باعتبارها مظهرًا من مظاهر الفروسيّة، حيث لا تقتصر على القوّة الجسديّة أو الجرأة الفرديّة، بل تتجاوز ذلك لتصبح التزامًا أخلاقيًا يوجّه السّلوك الجماعيّ نحو حماية الضّعيف ونصرة المظلوم. كما تناول فعل إغاثة الملهوف بوصفه تجسيدًا عمليًّا لقيم الحضارة، إذ يعكس روح التّكافل والرّحمة، ويؤكّد على توافق الأفراد على أهميّة الفضائل الإنسانيّة. وقد خَلُص البحث إلى أنّ علاقة الشّجاعة وإغاثة الملهوف بالفروسيّة والسّمات الحضاريّة المعنويّة، علاقة تكامليّة؛ جعلت من الشّجاعة إطارًا أخلاقيًا يضبطها ويحوّلها إلى بطولة مسؤولة، وأعطت الإغاثة معنًى اجتماعيًّا يعكس رقيّ الإنسانيّة في المجتمعات. ومن ثمّ، فإن السّيرة الشّعبيّة تبرز هذه القيم بوصفها وحدة متكاملة تُسهم في صياغة صورة الإنسان المثاليّ الّذي يجمع بين القوّة والرّحمة، وبين البطولة الفرديّة والواجب الجماعيّ، كما تظهر تأثّر أفراد الشّعب بأبطاله، واتباع نهجهم، والاتصاف بقيمهم، ما يعكس دور مضمون سيرة الظّاهر بيبرس في ترسيخ القيم الأخلاقيّة والحضاريّة داخل المجتمع في ذلك العصر.

الكلمات المفتاحية: الشّجاعة – إغاثة الملهوف – الفروسيّة – قيم – حضاريّة – معنويّة – السّيرة الشّعبيّة.

Abstract:

This study aims to explore the human values of courage and succoring the distressed as two central virtues in moral and social construction, through an analysis of their presence in the popular biography of Al-Zahir Baybars. The research examines the concept of courage as a manifestation of chivalry, not limited to physical strength or individual bravery, but extending to an ethical commitment that guides collective behavior toward protecting the weak and supporting the oppressed. It also addresses the act of succoring the distressed as a practical embodiment of civilizational values, reflecting solidarity, mercy, and the collective recognition of The study concludes that the relationship between .the importance of human virtues courage, succoring the distressed, chivalry, and spiritual civilizational traits is complementary. Courage provides an ethical framework that regulates and transforms it into responsible heroism, while succor gains social significance that reflects the advancement of humanity in societies. Thus, the popular biography highlights these values as an integrated unit that contributes to shaping the ideal human image—one who combines strength with mercy, individual heroism with collective duty. It also reveals how the public is influenced by its heroes, follows their path, and adopts their values, reflecting the role of Al-Zahir Baybars' biography .in consolidating moral and civilizational values within society during that era

Keywords: Courage – Succoring the Distressed – Chivalry – Values – Civilizational – Spiritual – Popular Biography.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

المقدّمة:

السّيرة الشّعبيّة وإن كانت لفترة من الزّمن مهملة ولا تعتبر من الأجناس أو الأنواع الأدبيّة، إلّا أنّ نصوصها تجسّد القيم الإنسانيّة وتعبّر عن ملامح الحضارة في مرحلة تاريخيّة. ومن بين هذه القيم تبرز الشّجاعة وإغاثة الملهوف باعتبارهما محورين أساسيين في تشكيل الوعي الجمعيّ، حيث تتراوح دلالاتهما بين كونهما سمات فروسيّة فرديّة ارتبطت بالبطولة والمروءة، وبين كونهما عناصر حضاريّة معنوية أسهمت في بناء العلاقات الاجتماعيّة وتماسك المجتمعات .

إنّ دراسة الشّجاعة في السّيرة تكشف عن البُعد المزدوج لهذه القيمة؛ فهي من جهة تُبرز صورة الفارس الّذي يتحدّى المخاطر دفاعًا عن الحقّ والكرامة، ومن جهة أخرى تُجسّد روح الحضارة الّتي تجعل من الشّجاعة فعلًا جماعيًّا يعكس التّكافل والعدل. كما أنّ دراسة إغاثة الملهوف تتجلّى في تسليط الضّوء على دور هذه القيمة في بناء الهوية الثّقافيّة والاجتماعيّة، وإبراز أثرها في ترسيخ مبادئ التّعاون والتّضامن بين أفراد المجتمع.

ومن هنا، فإنّ هذا البحث يتمحور حول استقصاء كيفيّة حضور الشّجاعة وإغاثة الملهوف في قيم الفروسيّة والسّمات الحضاريّة المعنويّة داخل نصّ السّيرة الشّعبيّة، وما يترتّب على ذلك من دلالات أدبيّة وثقافيّة تُسهم في فهم دور الأدب في صياغة القيم الإنسانيّة عبر العصور. وقد تمّ اختيار سيرة الظّاهر بيبرس الشّعبيّة مادّة الدّراسة للبحث في صفحاتها، وبين ثنايا سطورها.

أهميّة البحث:

تتجلّى أهميّة هذا البحث في عدّة مستويات، يمكن صياغتها على شكل بنود واضحة:

1. إبراز البعد القيمي للسّيرة الشّعبيّة من حيث توظيفها كوسيلة لترسيخ القيم الإنسانيّة الكبرى مثل الشّجاعة وإغاثة الملهوف، ممّا يمنحها دورًا حضاريًّا يتجاوز حدود السّرد.
2. تفسير التّداخل بين الفروسيّة والحضارة من خلال مساهمته في فهم العلاقة بين الشّجاعة وإغاثة الملهوف كفضيلتين فرديّتين مرتبطتين بالبطولة والفروسيّة، وبين أنّهما قيمتين للجماعة تعكس التّكافل والوعي الحضاريّ داخل المجتمع.
3. إغناء الدّراسات الأدبيّة عبر إضافة منظور جديد إلى الأبحاث الأدبيّة من خلال تحليل القيم الأخلاقيّة في نصوص السّير الشّعبيّة، وربطها بالهوية الثّقافية للشّعوب.
4. إبراز جزء من عناصر الحضارة المعنويّة في سيرة الظّاهر بيبرس، ما يؤكّد أنّ القيم الإنسانيّة ليست مجرد موروث أخلاقيّ، بل هي عناصر فاعلة في صياغة العلاقات الاجتماعيّة وتماسك الجماعة.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الإشكاليّة:

تتمثّل الإشكاليّة في التّداخل بين اعتبار الشّجاعة وإغاثة الملهوف من القيم الفرديّة المرتبطة بالفروسيّة والبطولة، وبين تصويرهما كعنصرين تابعين للسّمات الحضارية المعنويّة الجماعيّة الّتي تعكس التّكافل والوعي الاجتماعيّ في سيرة الظّاهر بيبرس. ويكشف هذا التّداخل عن البُعد المزدوج للشّجاعة وإغاثة الملهوف فيها؛ فهما من جهة تُجسّدان البطولة الفرديّة التي تُخلّد صورة الفارس، ومن جهة أخرى تُعبّران عن منظومة حضاريّة أوسع تُرسّخ قيم التّضامن والعدل وتُسهم في بناء الهوية الثّقافيّة للشّعوب.

أهداف البحث:

1. تحليل مفهوم الشّجاعة في سيرة الظّاهر بيبرس من حيث ارتباطها بالفروسيّة والبطولة الفردية.

2. توضيح البُعد الحضاريّ للشّجاعة باعتبارها قيمة جماعيّة تعكس التّكافل والوعي الاجتماعيّ.

3. الكشف عن دور إغاثة الملهوف في تحويل الشّجاعة من فعل فرديّ إلى قيمة حضاريّة، وإبراز انعكاس ذلك في نصّ السّيرة.

4. إبراز وظيفة السّيرة الشّعبيّة في ترسيخ القيم الإنسانيّة الكبرى، ودراسة كيفيّة مساهمتها في صياغة الفكر الجماعيّ.

1- الشّجاعة عبر العصور:

كانت الفروسيّة ملازمة لحياة العربيّ، ومن أبرز صفاتها الأخلاقيّة الّتي تتحلّى بها الشّجاعة، الإقدام على المعارك، والدّفاع عن القبيلة، الّتي تعتبر مدعاة للفخر بالنّفس. تعني الشّجاعة "الجرأة والإقدام، شَجُعَ شجاعة: اشتدّ عند البأس. إقتضت الشّجاعة " أن يكون الفتى ذا عزيمة وحزم، لا يتردّد ويتلوّم، وإلّا قضى عليه تردّده وتقاعسه، فهو يناجز فرسانًا شجعانًا، فلا بدّ أن يكون قويَّ الجنان، نافذ الرّأي، ذا بصيرة في المأزق" (الدسوقي، 1959، صفحة 29).

وقد حرص الجاهليّ على زرع الشّجاعة في نفوس أبنائه، وتحدّي كلّ ما يقف عائقًا في طريق حياتهم واستمرارهم. وذلك للمحافظة على النّفس ومجابهة الأخطار، خاصّة عندما تقع القبيلة أمام خيار المعركة، فلا يتردّد أبناؤها في الذّود عنها. يظهر هذا الموقف في وصف طرفة حالة اندفاعه عند طلب المساعدة منه قائلاً: [من الطّويل]

إذا سأل القَومُ: مَن الفَتى؟ خِلتُ أَنَّني عُنيتُ فَلَم أَكسَل وَلَم أَتَبَلَّدِ

(طرفة بن العبد، 2000، صفحة 41)

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

يقول إذا ناب أمرٌ جليلٌ، فنادى القوم، فقالوا: من لهذا الأمر الجليل؟ ظننتُ عُنيتُ بذلك، فبادرتُ إليهِ ولم أتثاقل.

ومن ضمن الأمور الّتي تدفع الجاهليّ العربيّ إلى الشّجاعة، إيمانهم القويّ بأنّ الموت واقع على كلّ إنسان لا محالة، وأن الجُبن لا يقي من الموت، بل كان نهجهم أن تُقتل مقبلًا فخرٌ لك من أن تُقتل مدبرًا.

قلّما يكون الشّجاع غير كريم، فالشّجاعة والكرم صفتان متلازمتان، لأنّ الشّجاع يُقدم على الخطر مقدِّمًا نفسه، والكريم يقدّم ماله. للنّفس والمال مكانةٌ كبيرة في ذات الإنسان، لذا كان يُتغنّى بشجاعة الشّاب الّذي لا يهاب الموت في سبيل الدّفاع عن الآخرين، فكلّ شجاع مسؤول عن القبيلة وأبنائها.

والشّجاعة يتّصف بها صاحب الخُلق الكريم، تحمل صاحبها على التّحلي بالفضائل والابتعاد عن الرّذائل، ومنها تنبع الخصِال الكريمة. وهي من أفخر القيم الأخلاقيّة عند العرب. يتمتّع الشّجاع بقدرة الإقدام على المكاره، والثّبات في مواجهة البأس، وعدم التّفكير بالموت. وهي تقي النّاس من الشّرّ، وتحميهم، وتجعلهم يدافعون عن أنفسهم، فيستمرون في حياتهم دون خوف وقلق. جاء في الخبر: "إنّ الله يحبّ الشّجاعة ولو على قتل حيّة أو عقرب" (الثعالبي، اللطائف والظرائف، 1992، صفحة 128).

وبالعودة إلى كرم النّفس تلتقي الشّجاعة معها، لانّ الشّجاع يسخى بروحه من أجل الآخرين أو في سبيل قضيّة ما، أو تقديم ما عنده للسّائلين. و"قال عليّ بن أبي طالب، قال رسول اللهﷺ: "يا عليّ كن شجاعًا، فإنّ الله عزّ وجلّ يحبّ الشّجاع. يا عليّ كن سخيًّا فإنّ الله عزّ وجلّ يحبّ السّخاء. يا عليّ، إن سائلٌ سألك حاجة لك ليس لها أهل، فكن أنت أهلها" (البيهقي، 1970، صفحة 186).

الشّجاع شخصٌ منشرح الصّدر، متّسع القلب، فالشّجاعة تحمل صاحبها على عزّة النّفس، وإيثار معالي الأخلاق. من يتّسم بالشّجاعة يتحلّ بالاندفاع والثّبات، بالشّهامة وعِظم الهمّة. وهذا ما انشده أبو فراس الحمدانيّ قائلًا: [من الطّويل]

وإنّي لنزّالٌ بكلّ كثيرٍ إلى نزالها النّظر والشّزرُ
وإنيّ لجرّارٌ بكلّ كتيبةٍ معوّدةٍ أن لا يُخِلَّ بها النّصرُ
فأصدأ حتى ترتوي الأرض والقُنا وأسغبُ حتّى يشبعُ الذّئبُ والنّسرُ (أبو فراس، 2004، صفحة 86)

يُعتبر الإقدام في ساحات الوغى، وتحمّل مخاطره أكبر مظاهر الشّجاعة.

2- الشّجاعة عند البطل الشّعبيّ:

البطل الشّعبيّ صاحب قلب لا يميل إلى الحِقد، يعفو ويصفح، ويعطي الأمان ويصون العهد. إنّه يملك من الشّجاعة ما يرهب قلوب أعدائه، بما يظهره من قوّة واندفاع. تظهر شجاعته في ساحة الوغى أو في

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

منازلة الفرسان. ينطلق بصورة فارسٍ شجاع، لا يهاب كثرة العساكر وأسلحتهم، كأبي زيد الهلاليّ حين قاتل فرسان الدّبيسي وحارب بشراسة حربًا" لم يشاهد الدّبيسي مثله في حياته، وأخيرًا تغلّب أبو زيد عليه وقتله" (تغريبة بني هلال، لا.تا، صفحة 34). وحين "شاهد رجاله ما حلّ بمليكهم وأسرعوا إلى الهرب" (تغريبة بني هلال، لا.تا، صفحة 34)، من فيض شجاعته التّي أغدقها في المعركة، وقد دبّت الرّعب فيهم، وزعزعت قواهم. والرّجل الشّجاع ذو شأنٍ في المجتمع، والجبانُ محتقر. وقد قيل قديمًا: "إنّ الشّجاع محبّبٌ حتّى إلى عدوّه، والجبان مُبغضٌ حتّى إلى أمّه" (الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، 1412هـ - 1992م، صفحة 104).

الشّجاعة تنبع من ثقّة البطل بنفسه، وإيمانه بقدراته. وقد ظهرت شجاعة الظّاهر بيبرس حين كان وحيدًا، وتعرّضَ لفارسٍ يريد أن يسلبه أغراضه. "فأرماه إلى الأرضِ كالمجدالِ[1]، ونزل عن جواده وأوثقه كتاف" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 122). وفي الوقت نفسه حضر ثلاثة فرسان يريدون تخليص وثاقِ رفيقهم، لكن الظّاهر بيبرس هجم عليهم، "وقادهم أسارى بين يديه حيارى" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 122).

يمتلك الملك سيف بن ذي يزن من الشّجاعة الأسطوريّة ما يواجه جيشًا كاملًا. يشير إلى ذلك مواجهته لعساكر الملك أبو تاج، حيث أرسل له فارسًا" فانقضَّ عليه الملك سيف وضربه على رأسه، فشقّه إلى حدّ لباسه والثّاني والثّالث. وهكذا فلما رأى الملك ذلك، أمر عشرة ان يخرجوا إليه دفعة واحدة" (سيرة فارس اليمن الملك سيف بن ذي يزن، 1985، صفحة 216). إنّها صفات وراثيّة يمليها الخيال حينًا، والأماني أحيانًا؛ ولهذا استمّر يقاتل بشجاعة من دون تردد، حتّى قضى على الكثير منهم، وهرب البقية وعلى رأسهم الملك تاج. تتجسّد شجاعته في وصف الشّاعر للبطل المقدام والفارس الهمّام: [من الكامل]

يَلْقَى السُّيُوفَ بَوِجْهِهِ وَ بِنَحْرِهِ وَ يُقِيمُ هَامَتَهُ مُقَامَ المِغْفَرِ[2]

(الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، 1412هـ - 1992م، صفحة 108)

1 - الجدالة: الأرض لشدّتها. والجدل: الصّرع. وجدله: صرعه على الجدالة وهو مجدول. وقيل للصّريع مجدّل لأنّه يصرع على الجدالة (ابن منظور، 2008، صفحة 98).

2 - المِغفَر: زردٌ يُنسجُ من الدّروع على قدرَ الرّأس، يُلبس تحت القلنسوة (ج) مغافر (مجمّع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، 1972، صفحة 656).

* القلنسوة: لباسٌ للرأس مختلف الأنواع والاشكال، (ج) قلانس قلانيس، قلاسٍ، قلاس(مجمّع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، 1972، صفحة 754).

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الشّجاعة لا تكفي وحدها وإن كانت مصدر القوّة والانتصار على الأعداء، ولكنّها بحاجة إلى الحافز والاندفاع، الّذي يظهر في تلبية الاستغاثة والمستغيث أو تخليص الآخرين من الظّلم وكيد الماكرين. ذلك أنّ "شجاعة الفارس تتفرّع عنها خلائق أخرى عُرِف بها العربيّ، كالعفّة والنّجدة والإباء" (يونس، دفاع عن الفلكلور، 1973، صفحة 143)، وغيرها من المزايا الّتي تجعل البطل مندفعًا لمساعدة الآخرين. يبرز ذلك في تقديم الملك سيف بن ذي يزن العون للملك شاه في حربه ضدّ الملك عابد النّار. فقد "برز الملك سيف وطلب البراز، فبرز إليه فارس فقتله"[1] (سيرة فارس اليمن الملك سيف بن ذي يزن، 1985، صفحة 59). وبقيَ على هذه الحال حتّى "أسر عشرين، وجرح أمثالهم فتوقف الأعداء" (سيرة فارس اليمن الملك سيف بن ذي يزن، 1985، صفحة 59) وولوا مدبرين.

والاندفاع نفسه يتبلوّر في قرار أبي زيد الهلاليّ حين خيّره الملك خرمند بين دفعِ المال أو الحرب. ففي الوقت نفسه الّذي بلغه الخبر "ركب في جموع بني هلال، ودار القتال بين الفريقين" (تغريبة بني هلال، لا.تا، صفحة 37). اتخذ أبو زيد الهلاليّ قراره من دون مشورة أبناء قبيلته؛ لأنّ "البطل يأخذ مكان الرّياسة والقيادة والتّوجيه"، واتباع أبناء قبيلته له دليل على الاعتراف به قائدًا لهم، أو مثالًا لسمات العربيّ وبطولاته، وأسباب حروبه وهي بجملتها تتجسّد في حوافز يوصف بها البطل، حيث إنّ "أشدَّ النّاسِ قتالًا ممتغض من ذلةٍ، أو محامٍ عم ملّةٍ، أو غيورٌ على طلَّةٍ"[2] (الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، 1412هـ - 1992م، صفحة 104).

لا يختلف الظّاهر بيبرس عن أبطال السّيّر الشّعبيّة من حيث اندفاعه. رُوِيَ أنّه لبّى رسالة أهل الإسكندرية له بتخليصهم من عدوّهم "مغلوبين". حيث "أمر السّلطان بتبريز العساكر وساربهم إلى الإسكندرية" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 203) لإنقاذ أهلها يتميّز البطل بصفاتٍ حميدةٍ، إنّه "قويّ وشجاع وكريم، ويحقّق النّصر في خاتمة المطاف" (حرب، 1999، صفحة 83).

وخُلاصةُ القول، يتمثّل البطل الشّعبيّ الخيرَ الدّائمَ لقبيلته أو لبلاده. ويتمتّع بصفاتٍ ماديّةٍ ومعنويّةٍ، تجعله قُدوةً ومِثالًا يُحتذى به ويُتّبع. هو صورة للإنسان المثاليّ الّذي ابتدعته الجماعة، وأسبغته بأخلاق تصبو إليها الذّات العربيّة. يمتاز بالمثالية، ويتصرّف وِفق قيمٍ يمليها عليه الواقع الاجتماعيّ والعسكريّ. كما يُؤمِّنُ للجماعة "حاجة نفسيّة، ويحقّق الرّغبات الشّعبيّة" (النجار، 1995م، صفحة 231)، وينشر "العدل المفقود، ويحارب الفساد الّذي استشرى في جسد المجتمع، ويقضي على النّفاق والمنافقين، ويعيد للمثل العليا احترافها وقيمتها" (أيوب، 1986، صفحة 79).

1 - برز: البراز: المبارزة في الحرب (ابن منظور، 2008، صفحة 60).

2 - الطّلّةُ: المرأة (مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، 1972م، صفحة 564).

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

فالبطل الشّعبيّ يشحذ الهِمَمَ، ويدفع القوى المؤذية، كي يلتفّ الجماعة حوله، ويشاركوه النّصر في كلّ ما يخوضه. إنّها ما تجلّى في صفات سطّرتها السّير الشّعبيّة بمجملها، وحفظها الرّواة عبر التّاريخ.

3- الشّجاعة في سيرة الظّاهر بيبرس:

الشّجاعة في أصل معناها تدلّ على جرأة وإقدام، ومن ذلك الرّجل الشّجاع، وهو المِقْدام، وجمعه شُجعان وشُجعاء، وقال ابن فارس: الشّين والجيم والعين أصل واحد يدلّ على جرأة وإقدام (ابن فارس، 1979م - 1399هـ، صفحة 247). وقالوا: الشّجعة من النّساء الجريئة، واللّبوءة الشّجعاء هي الجريئة وكذلك الأسد أشجع.

والشّجاعة لا تكون إلّا في الرّجل الصّالح للحرب، قالوا فيها وفي مكانها في الحرب: "جسم الحرب الشّجاعة، وقلبها التّدبير، وعينها الحذر، وجناحاها الطّاعة، ولسانها المكيدة، وقصائدها الرّفق، وسائقها النّصر" (الطرطوشي، 1995م، صفحة 415).

يندفع بيبرس في المعركة على عدوّه بعزيمة الشّجعان، فلا يتركه إلّا مجندلاً صريعًا لا يقوى على شيء، وقد نال منه كلّ منال. فقد قام "بيبرس في عاجل الحال، واعتدل أيّ اعتدال، وضرب هذا الخيّال باللّت[1] العشرة أرطال، فأرماه إلى الأرض كالمجدال، ونزل عن جواده، وأوثقه كتاف" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 123). لقد ضربه فأوجعه، وأحدث اختلالًا في توازنه، فوقع أرضًا ثمّ قيّده، إنّها ضربة نجلاء من فعل الشّجعاء.

وضربة بيبرس نافذة نفاذ بطولته، تمليها شجاعته، فتأتي ضربة لا تُخطىء الهدف، يسيل الدّم بعدها. "ووقع الضّرب خطأ وصواب، وقطّعت الجماجم والرّقاب، وضاقت بالنّاس الأسباب، وشاب من هول تلك الوقعة الشّباب، وتباشرت الأرواح ... والدّم يبذل" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 309).

ويُلاحق بيبرس الفرسان في جيش عدوه، المدجّجين بالسّلاح، العالمين بفنون الحرب، المجرّبين فيها، فيحاربهم بضربات صدقٍ، تنفذ إلى حنايا مقاتليه. فإنّ "بيبرس هو الّذي كسر العدوّ وأباده، وأفنى جموعه وأجناده، وردّه عن البلاد ولولاه... ملكت الشّام... ولقد أخرجه إلى خصمه بمفرده" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 164).

وضرباته للمدجّج، يتّسع فتقها، فيخرج الدّم كخروج الماء من الدّلو، فقد ضرب عدوّه "على رأسه ضربة جبّار عنيد، أخرج مخّه من أنفه، فوقع العبد على الأرض قتيل، يخور في دمّه" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 161). إنّه الموت الزّؤام، الّذي يمليه بيبرس في الإقدام، ومن آيات شجاعته قتله الفرسان المدجّجين في جبهة العدوّ، ولا يتركهم إلّا وقد أصبحوا جثثًا. وقد تمّ تصوير حال قتله، وبراعته بفعله في

1- اللّت: نوع من السّلاح.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

السّيرة، حين "جرّد الحسام، واستقبل القوم اللّئام، وقد داروا به من كلّ جانب ومكان، وقد غطّى فيهم بالحسام، وكلّ من تقرّب منه أطاح رأسه على الهام" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 180).

وبيبرس بفروسيّته وشجاعته لا يُنازل من المقاتلين إلّا الأقوياء، يوضّح ذلك ما قيل عنه بأنّه "فارس شديد، والوصول إليه صعب وبعيد" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا). وعندما ينازل بيبرس الأقوياء من الأعداء؛ ليكونوا درسًا في الخوف والهلع لغيرهم، ممّن ينتظر قضاء نَحبِه، وهكذا يقضي على الكبير، وتنتقل العدوى إلى الصّغير فيدُبُّ الرّعب في قلوبهم بمجرد رؤيته، حين "أقبلت العساكر إلى ذلك الطّابق، ورأوا الأمير بيبرس جالس كأنّه الأسد... تراجعوا أعقابهم إلى بعيد" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 161).

وطريقة بيبرس في القتال تتمثّل في المواجهة وجهًا لوجه لا يولّي دبره العدوّ، بل يعتمد على الإقدام والالتحام مع الخصم اللّدود. صور ترسم معالم الشّجاعة، إلّا أنّه في موقف أثار حفيظته "منع عساكر الإسلام من الحرب والصّدام، وأراد أن يبرز إلى الميدان" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 193). كما أنّه حارب عدوّه وجهًا لوجه "فوضع يده على الحسام وضرب السّلطان، فراغ السّلطان عن الضّربة، وضربه بالنّمشة على عنقه، أطاح رأسه عن بدنه" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 92).

لا أدلّ على الشّجاعة في الإقدام، من قطع الرّؤوس عن الأبدان وتكون المواجهة مباشرة، والقتال مجاهرة وليس سرًّا، إنّها الشّجاعة الّتي تدعو الفارس بيبرس إلى القتال، غير هيّاب طلوع النّهار، ولا عدد الأعداء. لا خديعة أو خداع، بل منازلة تحاكي شجاعة السّباع. حقيقة برزت في محاربته، وقوّة إصاباته لأعدائه؛ "فأمّا ضربة بيبرس، فكانت مثل القضاء النّازل من البلاء الواصل، لأنّها نزلت فقطعت البيضة والعُصابة، ونزل السّيف إلى أمّ رأسه، ونزل إلى آخر فرسانه... وقد قتل ثلاثمائة وعشرين فارس، و الباقي بين مجروح وناكس" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 180). وإن كان هناك مبالغة، فالقصد منها توضيح منها مدى الشّجاعة الّتي يتمتّع بها، وتجعل منه فارسًا وبطلًا في ساحات الوغى.

وفوق كلّ ذلك يمتاز بيبرس بالخفّة في القتال، سريع غير متقاعس عند أوّل إشارة تدعو إلى النّزال، فعند سماعه بهجوم الأعداء على البلاد "كرّ عليهم راجعًا، وهو منهم غير فازع" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 180). وهو سلوك صدر عن بيبرس، أملته عليه شجاعته، ومنه تعرف خفّته، وسهولة ضربه للأعداء. إنّها صورة الشّجاعة عنده، بدت مشرقة بأفاعيلها، بيّنة في سلوك صاحبها، ولا عجب في ذلك أن تظهر شجاعته الّتي عزّزتها الفروسيّة، وكانت من عناصر تركيبها. والّتي برزت في سرعة ضرباته وإصاباتها، ومهارته في استعمال السلّاح. فقد "لعب الأمير بيبرس بالسّيف، وقطع الأعناق بحدّ الهنداوي، وشقّ بضربته الصّدور" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 529).

وهل أجمل من صفة الشّجاعة، فيها يعلو قدر المرء حتّى في عين عدوّه. قالوا: "الشّجاع محبّب حتّى إلى عدّوه، والجبان مبغض حتّى إلى أمّه" (الثعالبي، اللطائف والظرائف، 1992، صفحة 128). وبهذه الصّفة

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

صلح بيبرس للفروسيّة، وكان مقدمًا بشجاعته في دولته، لصلاحه للحرب، وهل أبلغ من قولهم: "أصلحُ الرّجال للحرب، الشّجاع الحازم؟؟" (بن رضوان، 1425هـ-2004م، صفحة 243).

وقد تخطّى نفسه وذاتيته، وأراد زرع بل غرس جذور الفروسيّة في غيره من أبناء المجتمع المملوكيّ، وتحديدًا عزَم على دبّ روح الشّجاعة فيهم، وحَثِّهم على الإقدام، قائلًا لجنوده: "لا تخشوا عتب ولا ملام، وها أنا قدامكم، ومقامي مثل مقامكم، وحسامي قبل حسامكم، فقاتلوا ولا تفشلوا، وخوضوا في هذه الصّفوف، وجودوا ضرب السّيوف" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 35). على الرّغم من أنّه سلطان إلّا أنّه ساوى نفسه بجنوده، كمن يتّبع استراتيجيّة دفاعيّة قتاليّة هجوميّة في نفوس عناصر جيشه، ويدعوهم بطريقة غير مباشرة إلى التّشبّه به، والانقياد وراء خطواته فيصبحون شجعانًا جبابرة، يخوضون المعارك دون وجل ويندفعون لا مبالين بساعة الأجل.

والشّجاعة سِمة الأبطال، وعنصر من عناصر الفروسيّة، لا يتمتّع بها بيبرس لوحده، بل أفراد المجتمع المملوكيّ عامّة وفرسانه خاصّة، وقادّة المعارك خاصّة، والمسؤولون عن أمن البلاد، وحماية العباد. يشبه موقف بيبرس موقف الآغا شاهين في تشجيعه العساكر على خوض المعركة، حيث "قال الآغا شاهين: طيبوا نفسًا وقرّوا عينًا. فلا بدّ لي في غداة... أبرز إلى الحرب بنفسي، وأفديكم بروحي وجسمي، وأطلب البراز" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 32). فما كان من الجنود إلّا أن "تحدّروا يطلبون الحرب والكفاح، واصطفّت الصّفوف، وتعدّلت الميات والألوف. فكان أوّل من برز إلى الحرب وموقف الطّعن والضّرب الآغا شاهين" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 32). وهل أدلّ على الشّجاعة من إقدام القائد إلى ساحة الوغى قبل عساكره؟؟

هذه هي الشّجاعة تتجلّى بصورة، وتبرز فيها مكامن الشّجاعة في نفوس المقاتلين الّذين يهبّون إلى الحرب بمجرّد أن سمعوا بسيرة حصولها. إضافة إلى تحلّي القائد بهذه الرّوح الشّجاعة الّتي تدعم باللّاوعي خبايا النّفس الإنسانيّة للفرسان المحاربين.

ودائمًا ما يوصف القتال فيه إظهار لشجاعة الفرسان، خاصّة عند تعارك فارسَين. وممّا جاء في وصف هذا الموقف "انطبقوا على بعضهم الاثنين، وامتشقوا السّيفَين، والتحموا كالتحام الأسدَين، وطافوا على بعض مثل أسدَين" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 28). فالأسد رمز القوّة والشّجاعة، والالتحام يشير إلى القتال وجهًا لوجه، وهذه قمّة الإقدام.

وفي وصف شجاعة المحاربين المماليك، تبرز عظمة هذا الجيش، وسيل الإقدام نحو أرض المعركة، وإغداق شجاعتهم فيها، عندما "صاحت بعدها المماليك والعساكر تحت ظلال اللّيل العاكر، وانعقد الغبار، وتسردق وراء الظّلام والغسق، ولمع صارم المنايا وبرق، ووقعت السّيوف على الدّرق..." (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 83). فجيش المماليك لا يهاب ظلمة اللّيل الدّاكن، شجاعته الحصن الحصين الّذي يجعله

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

متأهّباً أمام ظروف الحروب. ووصف انطلاق الجيش مع ارتفاع الغبار يدلّ على أعداد عساكره الهائلة، واندفاعهم للقتال تحت عتم الظُّلمة القاتمة. فشجاعتهم هي بوصلة اهتدائهم، والبصر لعيونهم، والشّدّة في ضرباتهم، وطريق القضاء على أعدائهم.

4- إغاثة الملهوف:

عُرِف العربيّ بفروسيّته الّتي ينطوي تحت لوائها العديد من القيم الأخلاقيّة كالشّهامة والمروءة وغيرها، ولكن يبقى من أبرزها إغاثة الملهوف وحماية الضّعيف، حيث كان من " مهمّة الفارس حماية المرأة والأرملة واليتامى والضّعاف من الرّجال الّذين يطلبون المعونة والغوث" (Lacurne de Saint Palaye, p. 129).

يأتي الغوث للنّصر عند الشّدة، وفي هذا يقول حاجز بن عوف الأزديّ: [من الطّويل]

فَغَيْرُ قِتالي في المَضِيقِ أَغَاثَنِي ... ولَكِنَّ بَذْلِي الشَّدَّ غَيْرَ الأكاذِبِ

(مبروك، 2017، صفحة 340)

كان الجاهليّ يصبو من خلال إغاثة الملهوف وحماية الضّعيف إلى تحقيق غايات إنسانيّة منها التّعاون والمساعدة ومجابهة صعوبة الحياة، وهذا ما يدلّ على الكرم والشّجاعة. الكرم في بذل النّفس لأجل الآخرين بهدف حمايتهم أو إغاثتهم وهو من ضمن الأشياء الّتي يحرص عليها العربيّ وتبقى ملازمة للشّجاعة.

لقد ذكر طرفة أهميّة ذلك في قوله: [من الطّويل]

وَلَولا ثَلاثٌ هُنَّ مِن عيشَةِ الفَتى ... وَجَدّكَ لَم أَحفِل مَتى قامَ عُوَّدي

فَمِنهُنَّ سَبقي العاذِلاتِ بِشُربَةٍ ... كُمَيتٍ مَتى ما تُعلَّ بِالماءِ تُزبِدِ

وكَرّي إِذا نادى المُضافُ مُحَنَّباً ... كَسيدِ الغَضا نَبَّهتَهُ المُتَوَرِّدِ

(طرفة بن العبد، 2000، صفحة 46)

يشير الكلام السّابق إلى أنّ العربيّ لا يسأل عند الغوث عن سبب طلب الإغاثة، بل يسارع إلى إنقاذ المستغيث، غير آبه بما ارتكبه أو جعله في هذا الوضع. تبقى صفات العربيّ مرتبطة بالفضيلة بما فيها من إجابة المستغيث وحماية اللّاجئ، وإكرام النّازل، والدّفاع عن الجار وغيرها من الأمور الّتي تندرج تحت سمات مثاليّة اتّصف بها العربيّ ألا وهي الشّجاعة والكرم والوفاء.

لم تقف إغاثة الملهوف عند العصر الجاهليّ بل بقيت حاضرة بكلّ ما فيها من مقوّمات تحافظ على ديموميّتها. فهي مرتبطة بالشّجاعة والشّهامة والمروءة عند العرب تلك الصّفات كانت من أسباب الوئام والاطمئنان السّائد بين النّاس، لأنّ الاستجابة للملهوف أو المظلوم ونصرته، هي من أعلى المراتب الإنسانيّة.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وقد حثّ الإسلام على خدمة الآخرين، وإجابة أهل الحاجات والقيام بالمروءات. وقد قال تعالى:﴿ وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[1].

وفي إغاثة الملهوف فضل في إعانة الإنسان وتفريج الكرب عنه. (ابن منظور، 2008، صفحة 244) جاء في الحديث: "أجب الملهوف"[2] (الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، 1971، صفحة 337)، وفي الحديث أيضًا: "اتقوا دعوة اللّهفان" وهو المكروب من لهف لهفًا فهو لهفان، ولُهِفَ لهفًا فهو ملهوف" (الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، 1971، صفحة 337).

إضافة إلى ذلك، يُبنى بهذا الأسلوب من التّعامل مجتمع قويّ، قادر على مواجهة التّحديات والأزمات المختلفة. فمن يطلب العون قد يكون مظلومًا، عاجزًا أو مكروبًا، ومهما كان السّبب فالاستجابة له في قضاء حاجته أو تفريغ كربته أهميّة كبيرة.

و"لأهميّةَ إغاثة الملهوف وضع النّحاة واللّغويون أحكامًا تخصّها، كقولهم: "يا لَزيدٍ بفتح اللّام فهو مُستغاث، فإن كُسِرَت"يا لِزيدٍ" فهو مُستغاث لأجله والمُستغاث محذوف" (ابن هشام، 1971، صفحة 273). وذلك لإبراز ما لغوث الملهوف من عمل عظيم الشّأن.

5- نجدة الملهوف وإغاثته في سيرة الظّاهر بيبرس:

تتضمّن مادّة النّجدة معنى الاعتلاء والقوة والإشراف، وهي صفات تجعل الرّجل شجاعًا، قالوا: النّجد: الرّجل الشّجاع، ونَجَد الرّجل ينجدُ نجدةً، إذا صار شجاعًا (ابن فارس، 1979م - 1399هـ، صفحة 391). وفي رحاب النّجدة ومن فضائلها، تعرف الإغاثة، واستجابة دعوة المستغيث لتحلّي المُنجد بالقوّة والشّجاعة والإشراف. وقد تلاحمت النّجدة أيضًا مع القتال، قالوا: المُناجد: المقاتل، وقالوا : استنجدته فأنجدني، أي استغشته فأغاثني" (ابن فارس، 1979م - 1399هـ، صفحة 392).

وإغاثة الملهوف، ونجدة المستنجِد سمة العربيّ، وسجيّة من السّجايا المحمودة. صدح بعض الشّعراء بهذه المكرمة، الّتي لا يتحلّى بها إلّا الشّجاع والمقدام، قال: [من الطويل]

إذا اسْتُنجِدوا لم يسألوا من دَعَاهُم لأيّةِ حالٍ أم بأيّ مكانٍ

(مؤلف مجهول، 1988م، صفحة 97)

تحلّى بيبرس بمكرمة النّجدة وإغاثة الملهوف، وقد توزّعت في سيرته عبر مواقف عديدة، افترضها عليه أنّه سلطان في عصر المماليك، صاحب فتوحات، وحاكم له سلطة على البلاد. لذا كان يستقبل عامّة

1- القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 237.
2- الملهوف: المظلوم ينادي ويستغيث.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الشّعب، ويستمع إلى شكواهم عندما يستنجدون به. فقد "دخل عليه تاجر، وقال: يا مولانا السّلطان دارج الأصمّ نهب مال وحال التجار" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 229)، فما كان منه إلّا أن قال: "ها أنا رايح إليه سير معي لتأخذ مالك" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 229). فهو شديد الإصغاء للنّداء مستعدّ للتوّ لتلبية استنجاد الآخرين به، وهو متيقّن أنّه سيأخذ حقّ المستغيث أيًّا كان في كلّ مكان، كأنّه دولة في سلطان فارس وقائد.

وضُرب في الاستغاثة به مثلًا، جعل المستغيثين يأتون إليه، متخطّين أرباب الدّولة القائمين على نشر الأمن، فمن يرد المساعدة يذهب إلى الظّاهر بيبرس، فقد سافر شخصان إلى مصر ودخلوا عليه لكي يُعلموه ما أصابهم من مصيبة، فلمّا علم ماجرى "قال السّلطان: لا بدّ من الاجتهاد في خلاصهم، وتسامحهم يا مقدّم جمال الدّين... قال السّلطان: أنا أروح... وسافر" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 389) متجهًا إلى البلد الّذي حضر منه المستنجِد به ليعاقب المؤذي، ويأخذ منه حقّهما.

وعند استغاثة الآخرين به، يكرّ في أدبارهم، ويدافع عنهم بنفسه أو بالأسلحة. ودعوة بيبرس، والاستغاثة به، لا تكون إلّا في ساعات الشّدّة، عندما يحيط الخطر بالمستغيث، ويشعر بدنو أجله، وأنّ العدوّ أو الظّالم لامحالة قاتله. فقد صاح غلامٌ: "أغيثوني" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا)، لأنّه محاط بالرّجال الممسكين به، ولم يجرؤ أحد على إنقاذه. ولكن حين قال: "أنا في جيرتك يا أمير بيبرس، فعند ذلك نزل الأمير بيبرس" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 199). وبعدها تعارك بيبرس مع الرّجال، لينقذ هذا الغلام، حتّى هربوا "فلحق منهم اثنين، فسقاهم شراب النّكال، ومازال في خلفهم باللّت الدّمشقيّ" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 199). لقد كشف عن الغلام المكروب، بضربات فصلت بين الرّجال وفرقتهم، فانفصلوا عنه وابتعدوا، وإغاثة هذا الملهوف جاءت سريعة، لا تباطؤ فيها، ولا تأخّر، بل جاء غير آبه بما دعاه به، باسمه أم بكنيته أم بعلاقته به.

تلبية بيبرس للنّداء في ساعة الملمات العصيبة، تكون إجابته لها منتظرة، لا تأخير فيها، ولا تَرَدُد. وهي مواقف ترسم في أبعادها شدّة الحزم، وهول العزم. فحين جاء رجل يشتكي على غلامٍ أخذ ماله دون وجه حقّ، تحقّق بيبرس بسرعة فيما حصل بينهما، وصاح "على الولد بأعلى صوته: أعطه الدّراهم... فأعطاه الدّراهم، ثمّ صاح بيبرس على الخدّام، وقال أرموه فرموه" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 419). صوت مرعب، وأمر جازم، نقلته صورة الموقف، ساعة رهينة لا يغيث الملهوف إلّا بيبرس السلطان القائد. ويصدق صفة بيبرس من الإغاثة والنّجدة ما قاله: "إذا رأيت مظلوم، أخلّصه من ظلومته" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 43). والظّاهر بيبرس لا يخذل شعبه، بل يندفع اندفاع الشّهم الشّجاع، لا يأبه ما يُلاقي من الأهوال، همّه النّصر والفتك بالأعداء، والظّالمين والفاسدين، والوصول في النّهاية إلى نجدة كلّ مستغيث أو ملهوف. واكثر ما ظهرت هذه الصّفات فيه خلال الحروب الّتي خاضها.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وإغاثة الملهوف سمة اتّصفّ بها العربيّ خلال العصور، وكانت ظاهرة في سيرة الظّاهر بيبرس، بانت في صفاته الدّاخليّة والمظاهر الخارجيّة لها. كما برزت في سلوك شخصيّات السّيرة، فأتت مرآة تعكس الأخلاق السّائدة في المجتمع المملوكيّ. لم يكن بيبرس فقط من يهبُّ لإغاثة الملهوف في السّيرة، فهناك رسول دخل على بيبرس حاملًا رسالة استغاثة وطلب نجدة من مكيدة وقع فيها وزيره، فانتفض مرافق السّلطان المقدم شيحة، وسار يبحث عمّن أوقع الوزير في مصيبة، حتّى استطاع أن يصل إلى الفاسد و"قال شيحة للمركبدار: هات لنا العايق الّذي دخل بيت الوزير" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 397)، ثمّ أحضره أمام السّلطان بيبرس ليعاقبه، وينقذ الوزير.

وفي موقف مشابه، التقى شيخٌ فقير بالظّاهر بيبرس والأسطى عثمان، فشكى لهما ما حصل معه، وطلب أن ينجداه، فقال عثمان: "أنا الّذي أخلّص هذا المظلوم" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 270)، وسار يبحث عن ظالمه، حتّى وجده، وردّ عنه مظلمته، ثمّ "أخذ الشّيخ الدّراهم" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 271)، وهو يدعو له.

وإغاثة الملهوف، وتفريج المكروب، والاستجابة للمستغيث، من أعلى المراتب الإنسانيّة، وهي صفة متأصّلة في ذات الرّجل الكريم الشّجاع. فبذل النّفس لأجل حماية الآخرين أو نجدتهم من أسمى القيم الأخلاقيّة الّتي حرص العربيّ على الحفاظ عليها، وهي مرتبطة بالشّجاعة. ما يفسّر استمرارها وديمومتها في العصر المملوكيّ، وبروزها في السّيرة. والمسؤولون عن الأمن في البلاد، دائمًا ما يمشون بين النّاس متفقّدين أحوالهم. وبالصّدفة يعرفون مشاكلهم أو يأتون إليهم طالبين إنقاذهم، كما حصل مع عثمان، عندما اكتشف ظلم سرحان للعاملين وهو المسؤول عنهم، لأنّه حسب قولهم "المعلّم سرحان لا يعطينا أجرة، بل يحاسب عليها، ويأخذ لنفسه" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 297)، ثمّ طلبوا مساعدته. لبّى طلبهم، وسارع إلى إزاله الكرب عنهم، وأخذ من سرحان أورهم، وقال لأحدهم: "حاسب على أجرتك أنت وكامل رفاقك... وحاسبوا على أجرتهم... وقد زادت بليّة سرحان، ونزلت عليه المذلّات" (سيرة الظاهر بيبرس، لا.تا، صفحة 298).

ونجدة الشّخص لأخيه الإنسان تخلق روح الوئام والاطمئنان، فتسود الطّمأنينة بين النّاس، لأنّ الاستجابة للملهوف من القيم الإنسانيّة الّتي إذا انتشرت في المجتمع، تنتشر الفضيلة بين النّاس، فلا يشعر الفرد بالخوف. كيف لا، وإغاثة الملهوف أعتبرت من جملة النّوادر والأخبار، لتكون عونًا لمن يطالعها، ويفهم أصولها "أن يتخلّق بخُلق رضيّ، أو يتعلّق بسبب ذكيّ، أو يتشبّه بفعل مرضيّ، أو يتأدّب بأدب سنيّ" (أحمد المقري، 1436هـ-2015م).

الخلاصة:

يتبيّن من خلال هذا البحث أنّ الشّجاعة وإغاثة الملهوف ليستا مجرد فضيلتين فرديتين ارتبطتا بالبطولة والفروسية، بل هما من القيم الحضاريّة الأصيلة الّتي أسهمت في صياغة الوعي الجماعيّ عند الشّعوب،

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وتجسيد معاني التّكافل والعدل داخل المجتمع. وقد أظهرت السّيرة الشّعبيّة بوصفها نوعًا أدبيًّا قدرةً فريدة على إبراز هذا التّداخل بين البُعد الفرديّ والبُعد الجماعيّ؛ فهي من جهة تُصوّر القيم كفعل بطوليّ يُخلّد صورة الفارس، ومن جهة أخرى تُقدّمها كقيمة إنسانية تُرسّخ أسس الحضارة المعنويّة وتدعم الرّوابط الاجتماعيّة.

وعليه، فإنّ دراسة الشّجاعة في سيرة الظّاهر بيبرس تكشف عن دورها في حفظ القيم الإنسانيّة ونقلها عبر الأجيال، وتؤكّد أنّ الفروسيّة ليست مجرد موروث تاريخيّ، بل هي جزء من منظومة حضاريّة أوسع تُعلي من شأن الإنسان وتُرسّخ مبادئ الكرامة والنّجدة. إنّ هذا التّوازن بين البطولة الفرديّة والقيمة الأخلاقيّة الجماعيّة يفتح آفاقًا جديدة لفهم نصوص السّير الشّعبيّة، ويمنحها بعدًا حضاريًا يتجاوز حدود السّرد إلى بناء الهوية الثّقافية للشّعوب آنذاك.

وبالنّسبة لإغاثة الملهوف فقد جسّدتها سيرة الظّاهر بيبرس بوصفها معيارًا للبطولة الحقيقيّة الّتي تتجاوز حدود القوّة الجسديّة إلى رحابة الرّحمة والعدل. فالفارس في السّيرة لا يُخلّد بمهارته في القتال وحدها، بل بقدرته على نصرة المستضعف وحماية المظلوم، ممّا يجعل النّجدة فعلًا حضاريًا يرسّخ وحدة الجماعة ويعزّز التكاتف بين لأبناء المجتمع الواحد ويجعلهم يتأثّرون به فيظهر ذلك في تصرفاتهم وأخلاقهم. وهكذا تتحوّل إغاثة الملهوف من مجرّد موقف فرديّ إلى رسالة جماعيّة، تُظهر أنّ الحضارة تُبنى بالقيم قبل أن تُبنى بالقوّة، وتبقى درسًا خالدًا للأجيال في كيفيّة تحويل المبادئ الإنسانيّة إلى واقع عمليّ.

التّوصيات:

1. الاستفادة من المناهج النّقديّة الحديثة (السّيميائيّة، البنيويّة، النّقد الثّقافيّ) في تحليل حضور الشّجاعة داخل النّصوص الأدبيّة، للكشف عن أبعادها الرّمزيّة والمعنويّة.
2. إجراء مقارنات بين الأدب العربيّ والأدب العالميّ في تصوير الشّجاعة وغيرها من القيم الأخلاقيّة العربيّة، لإبراز الطّابع الإنسانيّ المشترك لهذه القيمة، وتوضيح خصوصيّة السّياق الثّقافيّ العربي.
3. تشجيع الدّراسات التّطبيقيّة الّتي تربط بين النّصوص الأدبيّة والواقع الاجتماعيّ، لإظهار دور الأدب في ترسيخ قيم التّضامن والعدل في المجتمعات المعاصرة.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

لائحة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

Lacurne de Saint Palaye. (s.d.). *Memoirs sur l'ancienne chevalier* (éd. 11). -1

1- إبراهيم البيهقي. (1970). *المحاسن والمساوئ*. بيروت: دار صادر.

2- ابن فارس. (1979م - 1399هـ). *معجم مقاييس اللغة* (المجلد 3). دار الفكر اللبناني.

3- ابن قتيبة. (1977). *الشعر والشعراء* (الإصدار 1). القاهرة: دار التراث العربي.

4- ابن منظور. (2008). *لسان العرب* (المجلد 4). بيروت: دار الصادر.

5- ابن هشام. (1971). *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب* (الإصدار 5). بيروت: دار الفكر.

6- أبو القاسم بن رضوان. (1425هـ-2004م). *الشهب اللامعة في السياسة النافعة*. (محمد حسن اسماعيل، و أحمد فريد المزيدي، المحررون) بيروت: دار الكتب العلمية.

7- أبو بكر الطرطوشي. (1995م). *سراج الملوك*. بيروت: دار صادر.

8- أبو فراس. (2004). *الديوان*. دمشق: وزارة الثقافة.

9 - تغريبة بني هلال. (لا.تا). بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

10- الثعالبي. (1992). *اللطائف والظرائف*. بيروت: دار المناهل.

11- الزمخشري. (1412هـ - 1992م). *ربيع الأبرار ونصوص الأخبار* (المجلد 3). (تحقيق عبد الأمير مهنا، المحرر) بيروت: منشورات الأعلى للمطبوعات.

12- الزمخشري. (1971). *الفائق في غريب الحديث* (المجلد 3). بيروت: دار الفكر.

13- سيرة الظاهر بيبرس (المجلد 5). (لا.تا). مصر: ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد أحمد حنفي.

14- سيرة فارس اليمن الملك سيف بن ذي يزن (المجلد 4). (1985). بيروت: دار الكتب العلمية.

15- طرفة بن العبد. (2000). *الديوان* (الإصدار 2). المؤسسة العربية للدراسات.

16- طلال حرب. (1999). *أولية النص "نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي"*. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

17- عبد الحميد يونس. (1973). *دفاع عن الفلكلور*. مصر: الهيئة العامة للكتاب.

18- عبد الرحمن أيوب. ((أبريل - مايو يونيو), 1986). الآداب الشعبية والتحولات التاريخية الإجتماعية (مثال سيرة بني هلال). *مجلة عالم الفكر، مج 17*(العدد 11).

19- عمر الدسوقي. (1959). *الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية والمثل العليا* (الإصدار 3). مكتبة نهضة مصر.

20- فوزي عبد المنعم مبروك. (2017). *معجم شعر الحماسة في العصر الجاهلي*.

21- محمد بن أحمد المقري. (1436هـ-2015م). *المختار من نوادر الأخبار*. (يونس الشهب، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

22- محمد رجب النجار. (1995م). *التراث القصصي في الأدب العربي*. الكويت: منشورات ذات السلاسل.

23- مؤلف مجهول. (1988م). *مجموعة المعاني*. (عبد المعين الملوحي، المحرر) دمشق: دار طلاس.